**المحاضرة الخامسة:**

**عنوان المحاضرة: المسار المفهومي: للخطاب كنص والنص كخطاب**

**1/الخطاب كنص:**

تدعو فرضية ثنائية:خطاب/نص إلى وضع حدود مفهومية نظرية و أخرى إجرائية،ذلك أن التمييز بينهما سمح بمعرفة الإطار النقدي التداولي المصطلحي لهما عند الدارسين والنقاد في مجال دراسات تحليل الخطاب،ذلك أن الحديث عن:ذاتية النص التي تجليها قراءة للمكتوب ،بحيث تجعل النص كلاما يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف"[[1]](#footnote-1)هذا ما يشير إلى أن تكوين النص لغوي تتابعي/خطي غرافي حامل لأدلة ثابتة، في حين أن الخطاب تكوينه جملي متتالي حامل لمدلولات متحولة في الزمان والمكان لها علاقة بأفعال انتاجها،لذا فإن تشكيل اللغة واستعمالها يتماهيان في حال إنجاز الخطاب في النص من خلال مساراته الشكلية و الزمكانية المختلفة، وهنا تطرح قضية الفرق بينهما وبشكل موضوعي من خلال أن:"النص مكتوبا والخطاب ملفوظا وبينهما وحدة لغوية يقف الإنجاز فيصلا فيها بين الطرفين "[[2]](#footnote-2) بمعنى وبعبارة أخرى أن هناك تماهي حاصل بينهما من خلال أن:النص كلام إلا أنه يصدر عن ذاتية النصية التي عملت على إنجازه وآدائه،والكلام الأخر غير نصي ولكنه كلام أيضا،إلا أنه خطاب شفوي عمل الشخص على إنجازه وىدائه"[[3]](#footnote-3)من هنا فإن مفهوم الخطاب/النص في عرفه النقدي الإجرائي،قد تناوله النقاد العرب كما الغرب،ولعل من أبرزهم في الساحة النقدية اّلأدبية العربية:محمد مفتاح.نوالدين السد.سعيد يقطين وغيرهم .

تناول-مفتاح- في كثير من مؤلفاته النقدية المسار المفهومي الإجرائي للخطاب من منطلق أنه"مدونة كلامية أي أنه مؤلف من كلام/قول،وليس من صور فوتوغرافية/أزياء/رسوم...وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائلها وهندستها من أجل اكتساح فضاء النص"[[4]](#footnote-4)،وبالمقابل فإن الخطاب تتمفصل أنساقه إلى تواصلية من منطلق التواصل وتفاعلية من منطلق الدلالة وتداولية من منطلق الاستعمال ،بمعنى أنها تحدث/تقيم فوق ذلك علاقات بين الجماعات اللغوية المختلفة وفي فضاءات مختلفة،مما قد يشير إلى أن مفهوم الخطاب عند-مفتاح-مقابلا"للحدث"بمعنى وبعبارة أخرى أنه مرتبط بذات متلفظة وبزمان ومكان محددين،لذا فهو يختلف عن الحدث التاريخي بحيث أنه لا يمكن لنا إعادته،بالإضافة إلى أنه يتميز بالإنغلاق،أي له بداية ونهاية رغم تداوليته المتعددة،ذلك أنه وليد أحداث تاريخية واجتماعية ولغوية ونصية،بحيث تتوالد منه أحداث أخرى،وفي جانب آخر فإن ما يتميز به خطاب عما هو بغير خطاب كون "الخطاب" يتسم بالّإنسجام والإتساق والنظام كما أن ما يميزه أكثر هو متلفظه-متكلم اللغة-الفاعل المتلفظ فهو بامكانه و عند تلقيه لمقطع لغوي نصي أن يحكم عليه بأمرين:إما أنه وحدة كلامية كاملة وبالتالي فهو خطاب،وإما أنه مجرد مجرد من جمل غير مترابطة مما يعني أنه ليس خطابا،لذا فإن حضور/غياب عناصر الإتساق/الإنسجام هي من تحدد فعل إنجاز الخطاب للمقطع من عدمه، فإذا كان متخصص اللغة له دور في تمييز الخطاب من عدمه لكن متلقي الخطاب يجعل من هذا الأخير امتدادا له:فالخطاب قطعة نصية متغيرة ومتحولة تبعا لكل من استعمالاتها من طرف المتكلم وهو متواصل و متفاعل مع الذات من منطلق احتوائه النفسي والاجتماعي والحضاري.[[5]](#footnote-5)

أما-نورالدين السد-فقد عرف الخطاب على أنه:خلق لغة من لغة،فوسم الخطاب على أنه لغة تمتاز بالتحول والتجدد،إنها لغة لم تنشأ من عدم،بل هي وليدة لغة أخرى ،هي لغة الحياة،"المعنى الموقف"[[6]](#footnote-6)إذا فلا وجود للغة أولى دون اللغة الثانية إنها اللغة المتحولة على خلاف اللغة الأولى"من ذلك ما يمكن أن نشير إليه إلى مجريات الحياة الجاهلية برحلاتها وأيامها والتي تمثلها"عنترة"في خطابه الشعري،إنها حياة معنى وموقف،اختزلها وفق لغة إبداعية وسمت بـ:معلقة عنترة"فوسم هذا الخطاب تبعا لتركيبته النوعية"بالخطاب الشعري"والكلام نفسه عن"الثورة الجزائرية"بمجاهديها وأمكنتها وزمنيتها وشعبها،كل هذا اختزله"مفدي زكرياء"بلغته الإبداعية الخاصة به في"إلياذة الجزائر"ومن ثمة يبقى الخطاب وفق هؤلاء:قراءة لثلاثية تكاملية هي:الذات المتلفظة،الزمن،المكان،المشكلة لتكوينية الخطاب،الذي تحصل فعاليته من خلال إنجاز الكلام،إذ لا يمكن اعتبار كل كلام خطاب ذلك أن الخطاب في جانب آخر هو نسيج من الجمل المتناسقة والمنسجمة والمترابطة،"إنه الكيان العضوي إذ يتشكل عضويا مع كل الأجزاء النصية القائمة على الإنسجام/الترابط/المواءمة بين كل مكونات الخطاب البنائية والمعنوية،فلما تصل إلى هذا الكيان فنقول هذا خطاب شعري وذاك نثري، لذلك فالخطاب الأدبي هو إفرازة بيانية متفردة بذاتها،أو هو لغة تحمل جوهرا هو المضمون"[[7]](#footnote-7)،بالمقابل قد تناوله بعض المهتمين بتحليل الخطاب،بنفنست/هاريس وغيرهما ذلك أن التكوين الزمكاني للخطاب كما أشار إليه-بنفست-من أنه"يمكن من تحديد الملفوظ بالنسبة إلى اللغة بوصفه"حدث امتلاك اللغة"ذلك أن المتكلم يمتلك جهازا صوريا للغة فيكشف في الوفت نفسه عن موقفه كمتكلم من خلال استعماله لعلامات لغوية خاصة به،ولكن بمجرد أن يقوم بذلك-الإنجاز-فهو يقوم بتنصيب أو خلق مقام تواصلي/دلالي/تفاعلي،وأياكانت درجة الحضور التي يحولها للمتلقي،لذا فإن الخطاب يبقى أساسا يفترض:مرسلا/رسالة/مرسلا إليه،بمعنى آخر أن كل خطاب هو في الأصل تخاطب يفترض مخاطبا كما يفترض في الوقت نفسه مخاطبا وعلى هذا الأساس فهل يمكن القول أن الخطاب يتماها مع الملفوظ اللغوي ؟وبناء عليه فإن-إميل-قد حرص على إعطاء مفهوم للخطاب وفق رؤية لسانية التي ترى أن الجملة تخضع في تحليلها اللساني إلى مجموعة من الشروط إذ هي أصغر وحدة في الخطاب وهي فوق ذلك تمثل نظاما من العلامات أو أنها تتضمن علامات كما يندرج ضمنها مجال آخر حيث اللسان باعتباره أداة تواصل تعبر عنه بواسطة الخطاب،الذي اعتبره"لاينس"أنه:كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به متكلم ،وقبل هذا الجزء وبعده هناك صمت من قبل هذا المتكلم "[[8]](#footnote-8)وعلى خلفية هذا التصور المفهومي للخطاب يمكن اعتباره إجرائيا وعلى حسب-بنفنست- ذلك:"الملفوظ المنظور إليه من وجهة آليات/عمليات اشتغاله في التواصل"[[9]](#footnote-9)مما يعني أن الملفوظ يمثل الفعل الذاتي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم الخطاب وهذا الإنجاز هو ما نسميه"بالتلفظ" إنه الموضوع اللغوي المنجز،المنغلق-له بداية ونهاية-والمستقل عن الذات التي أنجزته وبالمقابل هناك "التلفظ"الذي يمثل الفعل الحيوي في استعمال اللغة،أي أنه الفعل الدينامي الذي يعمل على اتناج نص ما،لذا يتيح لنا موضوع "التلفظ" إمكانية دراسة الكلام/الخطاب ضمن مسارات التواصل المتنوعة ومسارات وظائف اللغة المختلفة وكذا الدلالات المتعددة له،من أجل ذلك اعتبر-إميل-التلفظ-موضوعا أساسيا يندرج ضمن مجال دراسات تحليل الخطاب مستبعدا في الوقت نفسه دراسة الملفوظ شكليا،لذلك ولما كان الخطاب مرادفا للملفوظ او القول فإنه وفي مجال دراسات تحليل الخطاب التي اعتمدها-إميل-أنه لم يتوقف عند دراسة حدود الجملة بل تجاوزها إلى ما بعدها ،بمعنى أنه ركز الاهتمام على مختلف المستويات اللسانية وكذا غير اللسانية أي أنه انتقل من تحليل الجملة باعتبارها نظاما من الأدلة الثابتة إلى مستوى آخر اعتبر فيه الجمل المتتالية أنها حاملة لمدلولات متحولة في الزمان والمكان وخاضعة لأنساق التواصل والدلالة والتفاعل لذا وجب فهم الخطاب بأوسع مفاهيمه الإجرائية و المختلفة ذلك أن كل عبارة تفترض متكلما ومستمعا ،في حين نجد أن-هاريس-قد سعى هو الآخر إلى تبني مفهوم إجرائي للخطاب من منظور لساني منفتح اعتبر فيه الخطاب أنه: ملفوظ طويل،أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[[10]](#footnote-10)مما يعني وفق هذا التصور أن-هاريس-قد حرص على ضرورة تمثل التصور التوزيعي في مجال دراسات تحليل الخطاب ذلك أنه اشتغل/حلل/درس الخطاب في دراساته الأولى على متون قصيرة وذات طبيعة إشهارية فاختزل في التحليل مختلف المكونات اللغوية المباشرة للجملة-مركب إسمي+م.فعلي-مما يجعل التحليل يقف عنده عند حد تقديم الخطاب كمتتالية من المركبات الإسمية والفعلية ذات العلاقات المتوافقة تحدد في الوقت نفسه ما يمكن الإشارة إليه في مقابل الخطاب بالنص.

**2/ النص كخطاب:**

إذا كنا قد أشرنا-سابقا- إلى أن مدلول الخطاب تراوح بين الكلام والملفوظ،فإن حده الإجرائي يتجاوز الجملة بمعنى أنه يمثل مجموعة من الجمل وهي كلها حدود دلالية ومفهومية وإجرائية تقترب بطريقة أم بأخرى لمفهوم ومدلول النص بحيث وّأنه بالكاد نجد له ترادفا مع النص لذا فإن الخطاب ضمن الممارسة اللغوية النصية يصبح وسيلة للمعرفة ،وبالتالي يتحول إلى نص:"لذا صار ينظر إلى النص في ذاتيته النصية،وصارت ممارسته لغة المكتوب جزءا من ممارسة النص نفسه"[[11]](#footnote-11) ولما كانت لهذه الإشكالية أهمية معرفية ونقدية فإن الباحث في مجال دراسات تحليل الخطاب قد يجد صعوبة في وضع حدود وفروق مفهومية بين النص والخطاب لهذا يكون لزاما علينا الإشارة إلى قضية المدلول اللغوي والمعجمي التعدد ثم إلى المفهومي الاصطلاحي النظري /الإجرائي للنص –مثلما أشرنا سابقا-للخطاب-ذلك أن مفهومه الإجرائي قد أخذ مسارات مختلفة ومتعددة بين البحاثة والدارسين بل وبين مدرسة وأخرى ،بحيث أن مفهومه في التصور الظاهراتي غيره في التصور البنيوي أو السيميائي أوالسوسيولوجي.

على الرغم من التسليم بهذا الاختلاف المفهومي والإجرائي للنص،إلا إنه ليس هناك تعريف جامع له،فالنص"texte"في التصور المعجمي الأجنبي، جاء من الاستخدام الاستعاري اللاتيني من الفعلtexter""الذي يحمل دلالة يحوك/ينسج،ففي قاموس"la rousse"الفرنسي"النص يمثل مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوبا أو منطوقا أو أثرا[[12]](#footnote-12)،مما يعني أن النص يستقيم وفق انسجام كلماته مع جمله،وعلى هذا الأساس فإن الأصل اللاتيني للكلمة يشير إلى النسيج الذي:يعني بمعناه الواسع الإنشاء والتنسيق في ضم الشتات والتنضيد"[[13]](#footnote-13) وأما في العرف الألسني ومع-هلمسليف-يتوازى مع الملفوظ اللغوي المحكي او المكتوب،وأما-تودوروف-فاعتبره إنتاج لغوي منغلق على ذاته،مستقل بذاته،قد يكون جملة أو فقرة أو كتابا.

وأما النص في التصور المعجمي العربي،بحيث جاء في معجم"لسان العرب"أن جذر لفظ نصص"الذي يعني رفعك الشيء،ونص المتاع بمعنى جعل بعضه فوق بعض،ونص الرجل نصا بمعنى سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده،ونص كل شيء بمعنى منتهاه وكل ما ظهر وبرز،أي كل ما برز على المنصة،فهو على غاية من الظهور والشهرة[[14]](#footnote-14)، أما"مجدي وهبة"في معجمه فاعتبر النص:مجموعة من الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي"[[15]](#footnote-15)،مما يعني أن النص لا يستقيم مفهومه إلا من خلال صوره الغرافية و انسجام كلماته مع جمله وفق مسار نصي متمفصل إلى كلام واضح وبارز.

وبناء عليه فإن اللفظ-النص- في العرف المعجمي العربي:" يحيل على الاستواء والكمال وعلى النسج...وبالمقارنة ما ورد في اللغتين العربية واللاتينية يؤدي معنى بلوغ الغاية والاكتمال في الصنع"[[16]](#footnote-16).وبين هذه وتلك فهل يكفي المفهوم المعجمي للنص حتى يستقيم مفهومه الإجرائي؟أم أن هناك تعريفا جامعا ومانعا في العرف النقدي الأدبي الحديث والمعاصر،ولعل من المفهومات المتداولة له يمكن الإشارة له وفق سياق مفهوم مصطلح النص الأدبي،فالبحث عن مفهوم شامل للنص يعد ضربا من الخيال ويرجع ذلك إلى الخلفيات المعرفية المتعددة والمختلفة التي تبناها المنظرون في ما نطلق عليه"نص" ومن أجل تقريب المفهوم فقد تناوله البحاثة:"من حيث وجوده الفيزيائي ومكوناته ومن حيث هو حدث أو عمل منجز في الزمان والمكان ومن حيث هو مؤسسة اجتماعية تؤدي دور العلامة الدالة بما تتسم به من سمات النشاط اللغوي الفردي والجماعي"[[17]](#footnote-17)مما يعني أن مفهوم النص ارتبط بعديد من المدارس والتيارات والمناهج،كما أنه في جانب آخر يمثل شكلا من أشكال اللغة بالإضافة إلى أنه في علاقة مباشرة بقضية استعمال الكلام"الخطاب" ومن أجل ذلك فكيف تتشكل صيغ نشاطه وكذا بنائه الداخلي والخارجي وتفاعلهما من خلال علاقاته المتبادلة، فالنص توالدي/حدث/ يتجلى وفق سياقات زمنية ومكانية من جهة وانساق لغوية ولسانية من جهة أخرى،فيبرز عن هذا التصور وضع النص إزاء الخطاب،يقول"بول ريكور:أن النص خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة.... وبالمقابل تذهب"شلوميت"إلى أن النص قد يستعمل بمعنى:الخطاب الشفوي أو الكتابي أو بمعنى آخر هو نقرأ [[18]](#footnote-18).

ومما سبق يمكن التأكيد على تداخل/تماهي المسارات المفهومية لكل من النص والخطاب من منطلق أنهما يحملان دلالات/أحداث ضمن مسار الفضاء النصي،كل هذا جعل"ديكرو/تودوروف"يؤكدان على إطار التماهي بينهما من منطلق الدلالة التي ينتجانها.وبالمقابل هناك من أوقف حد النص على الإطار الكرافي النصاني الشكلي،بينما الخطاب يقتصر على الإطار الشفوي-التلفظي،وعلى هذا الأساس فإن مفهوم النص قد أخذ أبعادا فكرية ومنهجية نقدية مختلفة ومتعددة بين النقاد والدارسين.

1. منذر عياشي.النص-ممارساته وتجلياته.مجلة الفكر العالمي.ع.96.لبان.1992.ص:53 [↑](#footnote-ref-1)
2. عبد القادر شرشار.تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص.منشورات جامعة وهران.2006.ص:17 [↑](#footnote-ref-2)
3. منذر عياشي.النص-مماراساته وجلياته.ص:53 [↑](#footnote-ref-3)
4. ينظر:محمد مفتاح.دينامية النص.المركز الثقافي العربي.ط2.بيروت.1990.ص:220 [↑](#footnote-ref-4)
5. ينظر:محمد مفتاح.تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص-المركز الثقافي العربي.1986لبنان.ص:120 [↑](#footnote-ref-5)
6. ينظر:نورالدين السد.الأسلوبية وتحليل الخطاب.دار هومة.الجزئر.2010.ص:216 [↑](#footnote-ref-6)
7. ينظر نورالدين السد.تحليل الخطاب الشعري.ص:92 [↑](#footnote-ref-7)
8. ينظر: سعيد يقطين.تحيل الخطاب الروائي. ص:17 [↑](#footnote-ref-8)
9. Emile benveniste.probleme de linguistique genenrale.p:241 [↑](#footnote-ref-9)
10. ينظر:سعيد يقطين.تحليل الخطاب الروائي.ص:17 [↑](#footnote-ref-10)
11. منذر عياشي.النص-ممارسته وتجلياته- ص:54 [↑](#footnote-ref-11)
12. Voir:dictionnaire.larousse.poche.2010.ed.2009.paris.p:808 [↑](#footnote-ref-12)
13. ينظر:أحمد الحذيري.من النص إلى الجنس الأدبي.الفكر العربي المعاصر.ع100بيروت.1988.ص:41 [↑](#footnote-ref-13)
14. ابن منظور.لسان العرب.ص:97 [↑](#footnote-ref-14)
15. مجدي وهبة.معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.مكتبة لبنان.1984.ط2.ص:52 [↑](#footnote-ref-15)
16. عبد القادر شرشار.تحليل الخطاب الأدبي.ص:20 [↑](#footnote-ref-16)
17. ينظر:عبد القادر شرشار.تحليل الخطاب الأدبي.ص:21 [↑](#footnote-ref-17)
18. سعيد يقطين.انفتاح النص الروائي.المركز الثقافي العربي.ط1.بيروت.1990.ص:11 [↑](#footnote-ref-18)